قواعد تحويل الجملة بين تشومسكي وبعض النّحاة العرب.

أ. حياة بناجي

جامعة البويرة

إنّ اللغة العربية لها شخصيّتها المتميّزة، ولها قوّتها التي ورثتها منذ مئات السّنين، ولذا لا يجوز تطويعها لتتلاءم مع نظريّات غربيّة أو شرقيّة، فنجد الغيّورين من أبنائها يُنادون بالمحافظة عليها واحترام أصولها الموروثة منذ العصر الجاهلي، حيث نادوا باحترام المعايير التي سُمعت عن العرب منذ القديم في قياس اللغة وفي الحكم عليها، ورفضوا إخضاعها لنظريّات نقدية حديثة استعيرت من أسواق الأدب والنّقد الغربية والشرقية، فحين سُئل الكسائي عن سبب رفع أو خفض في جملة لغويّة عُرضت عليه، قال: هكذا سُمعت عن العرب، فالسّؤال الذي يطرح نفسه هنا: **هل في القواعد العربية توليد وتحويل؟ أو هل تفطّن النّحاة العرب إلى ظاهرة التّحويل في العربية؟ وهل نظّروا لها؟ هل تتكيّف اللّغة العربية مع قواعد النّظرية التشومسكية التّوليدية التّحويلية؟** قبل الحديث عن النّحو التّوليدي في النّحو العربي لابدّ من الوقوف عند بعض المصطلحات والمفاهيم المتعلّقة بالتّحويل والتّوليد.

1- **مفهوم الجملة في العربية:** تُنَظَّم وتُرَتَّب الكلمات لتبيّن العلاقات الدّلالية داخل/بين الجمل وفق قواعد علم التّركيب Syntaxe الذي تعود جذوره إلى الكلمة اليونانية Syntaxis التي تعني التّرتيب والتّنظيم، فعلم التّركيب وظيفته التّركيب بين الكلمات لبناء الجملة، ميّز النّحاة العرب بين الكلام والجملة إذ عدّوهما "مستويين لسانيين متميّزين ومختلفين[1] فالكلام شكل لغوي نحوي ودلالي مفيد، في حين يمكن أن تكون الجملة شكلا نحويا ودلاليا تاما يحسن السّكوت عليه، ويمكن أن لا تكون كذلك "فتكون الجملة أعمّ من الكلام مطلقا"[2] فتعدّدت تعريفات الجملة عند النّحاة، إذ عُرفت قديما بعبارات مثل التعبير التّام للفكرة الواحدة، كما عُرّفت الجملة فلسفيّا أنّها تتألّف من موضوع (فاعل أو مبتدأ) ومن محمول (خبر) مهما يكن من تباين في التّعريفات –لفظا– فإنّ الجملة العربية في أقصر صورها هي تركيب –سواء أفاد أم لم يفد– لابدّ أن يتوافر فيه الرّكنان الأساسيّان (المسند والمسند إليه) وجودا أو تقديرا[3] كون هاذين الرّكنين يمثّلان الحد الأدنى الذي تقوم عليه الجملة، تختلف طبيعة هذين الرّكنين في الجملة العربية فالجملة العربية أربعة أقسام فعلية، واسمية وشرطية وظرفية، فالجملة الفعليّة تبتدأ بفعل نحو: "جاء المعلّم" والجملة الاسميّة تبتدأ باسم نحو: "عمر مريض"، والجملة الشّرطيّة تتضمّن معنى الشّرط، نحو: "لولا الماء لانعدمت الحياة" والجملة الظّرفيّة تتضمّن معنى الظرفية (زمان أو مكان) فالمكان نحو: وراء الجبل نهر، والزمان، نحو: صلاة الفجر قبل طلوع الشّمس.

2- **الوحدة الإسناديّة:** هي تركيب إسنادي أساسي وقاعدي في بناء اللغة العربية ونسيجها، عماده المسند والمسند إليه اللّذان يلاحظ أنّ بينهما رابطة إسنادية معنويّة تسمى الاسناد[4] كما عرّف (الشريف الجرجاني) الاسناد أنّه "ايقاع التّعليق بين الشّيئين"[5] أي بين اللّفظين المكوّنين للوحدة أو التّركيب

الإسنادي، فالوحدة الإسناديّة تتكوّن من مركّبين على الأقل مثل المبتدأ والخبر، أو الفعل وفاعله فالمنسوب يسمّى مسندا، والمنسوب إليه مسندا إليه.

3- **مفهوم التّحويل التّوليدي:** هو التّغيّرات التي يُدخلها المتكلّم والمستمع على النّص، فينقل البنيات العميقة المولّدة من أصل المعنى إلى بنيات ظاهرة على سطح الكلام[6] أي الانتقال مما هو باطني موجود داخل فكر الفرد إلى ما هو سطحي، والغاية المنشودة من تعلّم النّحو بالمفهوم الانتحائي هي الكفاية اللّسانية والتّبليغية؛ وهذه الكفاية تشمل مستويين للانتحاء: انتحاء البنى والتّراكيب الإسنادية التّوليدية، وانتحاء البنى والتّراكيب المحوّلة فيجب على مستعمل اللّغة أنّ يكون على بصيرة بالتّحويل الذي يُطرأ على البنى والتّراكيب الاسنادية في العربية.

إنّ مفهوم التّحويل –ذو الشّهرة العالميّة– الذّي ظهر بمدرسة "النّحو التّحويلي التّوليدي" على يد رائدها (تشومسكي) يقترب من مفهومه عند النّحاة العرب، إلاّ أنّه لم تكتمل ولم تنضج المصطلحات عندهم، فالتّحويل وسيلة للوصف والتّحليل والتّفسير ف "عمليّات التحويل تقلب البنيات العميقة إلى بنيات ظاهرة دون أن تمسّ بالتّحويل أي بالتّأويل الدّلالي الذي يجري في مستوى البنيات العميقة"[7] حيث يعطي التّركيب الباطني المعنى الأساسي للجملة أو الوحدة الإسنادية، كان اللّجوء إلى التّحويل في النّحو العربي لتفسير الأبنية والتّراكيب التي تعتريها بعض التّحولات في سعة الكلام ونَظمه، من قبيل الحذف والتّقديم والتّأخير... فكان للعرب ريّاد التّقدير، فالتّحويل يحصل عندما يحاولون تفسير الكثير من الأبنية الملبسة التي لم تأت على بناء نظائرها في الإعلال والإبدال فالتّحويل هو الانتقال من جملة أو وحدة اسنادية إلى أخرى، وفي النّحو التّوليدي هو "التّغيّرات التي يدخلها المتكلّم والمستمع على النّص" إذ ينقل البنيات العميقة المُولَّدَة من أصل المعنى إلى بنيات ظاهرة على سطح الكلام، إلاّ أنّ النّحويّين اختلفوا في هذه التّراكيب المقدّرة من ناحية تحديدها كما اختلفوا –أيضا– في طرق تحويلها إلى البنية السّطحية فالتّحويل هو عملية تغيير تركيب لغوي إلى تركيب آخر بفضل قانون تحويلي، كالتّحويل من جملة إخباريّة إلى تعجبيّة أو استفهامية أو منفيّة... فهو ترجمة للعلاقة بين البنيتين العميقة والسّطحيّة.

4- **التّحويل في النّحو العربي:** يقوم التّحويل في النّحو التّحويلي على أساس أنّ لكلّ تركيب إسنادي –جملة أو وحدة إسنادية وظيفية– بنيتين: إحداهما عميقة والأخرى سطحية، إذ تقوم قواعد التّحويل المختلفة بنقل البنية العميقة من عَالَم الفكرة المجرّدة إلى عالم التّحقيق الصّوتي (الملموس) فلهذه الفكرة جذورا عند العرب "لكن النّحويّين العرب حين تناولهم فكرة المواءمة بين العمق المقدّر والسّطح الظّاهر، وانتهوا إلى أنّ هناك نموذجا أو معيارا أو أصلا تجريديّا في الغالب يحاول الكلام الحي تنفيذه وإخراجه إلى حيّز الوجود وخلصوا إلى أنّ النّموذج المجرّد أساس للآخر فحاسبوا الكلام المنطوق بمقياس هذا النّموذج المجرّد، فإنّهم رأوا أنّ ليس هناك لكلّ تركيب إسنادي بنيتان إحداهما عميقة والأخرى سطحيّة وإنّما التّركيب الإسنادي الذي يقتضي بنيتين هو التّركيب المُحوَّل الذي يكون ظاهره ملبسا[8]" فالجملة التّوليديّة لا

تحتاج إلى بنية عميقة، لم يستعمل النّحاة العرب مصطلح (البنية العميقة) إثر معالجتهم للتّراكيب النّحويّة المُحوَّلة رغم حضور مفهومه لديهم، لكن جاءت الإشارة إليه بألوان تعبيريّة مختلفة مثل قولهم: "أصله كذا" أو "على تقدير كذا"... وهي كلّها تعني أنّ هناك بنية عميقة وراء البنية السّطحيّة المحوّلة، وقد استُعْمِل مفهوم البنية العميقة في التّفريق بين معاني التّراكيب الإسنادية في الصّيغ العربيّة التي يكون ظاهرها ملبسا، فمفهوم البنية العميقة هو المؤدّي إلى إزالة اللّبس، كالتّمييز بين الحقيقة والمجاز، والتّحويل عند العرب تحويلان: "تحويل يبحث به عن تكافؤ البنى (توافق البناء عند العرب) وهو الأهم، وتحويل تُفَسَّر به الشّواذ بواسطة ما يعرف بنظرّية الحمل"[9] وهو سلسلة التّحويلات التي يتوصّل بها من الأصل الذي كان ينبغي أن تكون عليه هذه الشّواذ إلى الصّورة المستعملة للجملة أو الوحدة الاسناديّة تكون قواعد التّحويل بالحذف، أو الاستبدال، او بالإضافة، أو إعادة التّرتيب... قد تكون قوانين التّحويل اختياريّة، كما قد تكون إجباريّة لكن تطبيق هذه القوانين على تركيب من الممكن تحليله إلى عناصر سبق ظهورها في التّركيب الباطني في كلّ الأحوال، فهذا الشّرط ضروري للسّيطرة على القوانين التّحويليّة وحصر استعمالاتها[10] أي وجود وصف تركيبي قابل للتّحويل استنادا إلى عناصر التّركيب الباطني ضروري ولابدّ منه، تهدف النّظريّة التّحويليّة إلى تحديد قواعد اللّغة كلّها، وبناء نموذج لآلياتها انطلاقا من الفرضيّة التي تقرّ بمقدرة المتكلّم على انتاج عدد غير متناه من جمل لغته ويفهمها[11] فمهمّة الوصف اللّغوي –حسب هذه النّظريّة– هي تفسير لغة المتكلّم المستمع الفعليّة وسليقته أو قدرته اللّغويّة، والتّحويل لا يقتصر فقط على الجملة أو الوحدة الاسنادية، بل يمسّ –كذلك– الصّيغة الصّرفية، لكن التّحويل في الوحدة الاسنادية يترتّب عنه تحوّل المعنى، أمّا التّحويل في البنية الصّرفية فقد يكون وظائفيّا، وقد يكون لغرض التّخفيف الذّي تنشده اللّغة العربية حين يسجّل تنافر بين أحرف الكلمة[12] كالتّحويل الذي نجده في الإبدال والاعلال على مستوى الكلم، فلا يغيّر هذا التّحويل في المعنى كونه تمثيل لما يترتّب من التّغيير اللّفظي إذا حُمِل ظاهر اللّفظ على أصله.

5– **أنواع التّحويل:** إذا كان التّحويل هو الانتقال من جملة عميقة إلى جملة سطحيّة، فقد يكون ذلك الانتقال أو التّحويل جذري، كالتّحويل من الأسلوب الخبري إلى الانشائي أو العكس، كما قد يكون – التّحويل– محلّي كالتّحويل من الأسلوب الانشائي الطّلبي إلى غير الطّلبي أو العكس.

5–1– التّحويل الجذري: وهو الذي يتحوّل فيه التّركيب الإسنادي الاسمي إلى تركيب اسنادي فعلي أو العكس، من التّحويلات الجذريّة:

*– **التحويل الذي ينقل المركّب الاسمي إلى رأس الجملة:** المركّب الاسمي هو الذي يؤدّي وظيفة المبتدأ وهي التّحويلات التّي سمّاها (الجرجاني) بالتّقديم لا على نية التأخير، إذ يقول: "واعلم أنّ تقديم الشّيء على وجهين: تقديم يقال على نيّة التّأخير؛ وذلك كلّ شيء أقرَرته مع التّقديم على حُكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدّمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدّمته على الفاعل (...) لم يخرجا بالتّقديم عمّا كانا عليه، من كون هذا خبر لمبتدأ ومرفوع بذلك، وكون ذلك مفعولا

ومنصوبا لأجله، كما يكون إذا أخّرت، وتقديم لا على نيّة التّأخير، ولكن على أن تنقل الشّيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له بابا غير بابه، وإعرابا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كلّ واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الثّاني خبرا له، فتُقدِّم تارة هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا (...) بل على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبرا"[13] فينتقل فيه المسند إليه من داخل الجملة إلى مركز الصّدارة (أي يتصدّر الجملة) متخلّصا من أثر الفعل الذي كان العامل الأساسي فيه مثل قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾ [البقرة 205] فالبنية العميقة فيه (لا يحبّ الله الفساد) فلفظ الجلالة الله فاعل للفعل يحبّ لكن في هذه الجملة (البنية السّطحيّة) لا يخضع وظيفيّا للفعل يحبّ، وإنّما ارتفع بالابتداء –عامل الرّفع فيه عامل معنوي هو الابتداء– نلاحظ في ما سبق– أنّ الجملة الاسمية المركّبة (مركّبة كون الخبر فيها جملة ورد وحدة اسناديّة مضارعيّة) تختلف جذريّا عن الوحدة الاسناديّة الفعليّة المضارعيّة المنفيّة (المؤدّية وضيفة مقول القول) في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ**﴾ [الأنعام 76] فالتّركيبين الاسناديين (والله لا يحبّ الفساد) و(لا أحبّ الآفلين) متباينين فيقول سيبويه في مثل هذا: "فإذا بنيت الفعل على الاسم قلتَ: زيدٌ ضربته، فلزمته الهاء وإنّما تريد بقولك مبنيّ عليه الفعل أنّه في موضع منطلق إذا قلتَ: عبد اللّه منطلق، فهو في موضع هذا الذي بُني على الأوّل وارتفع به، فإنّما قلتَ عبدُ الله فنسبته له، ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء، ومثل ذلك؛ قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى**﴾ [فصلت17] وإنّما حسن أن يُبنى الفعل على الاسم حيث كان مُعمَلا في المضمر وشغَلتَهُ به، ولو لا ذلك لم يُحسن"[14] فالضّمير يعمل على المحافظة على سلامة البناء، فيربط الخبر بالمبتدأ، فالضّمير العائد من التّراكيب الاجباريّة، لأنّ الفعل لا بدّ له من اسم يشتغل به.

5–2– ظنّ وأخواتها: والنّوع الثاني من التّحويل الجذري الجملة الاسمية (التركيب الاسنادي) التي تدخل عليها ظنّ وأخواتها فتغيّر أحد ركنيه، أو كلاهما معا فتُحْدِث فيه أثرا في المعنى كما في شكل التّركيب وهي من العوامل اللّفظيّة (نواسخ) فتزيل حكم المبتدأ والخبر، من المسلّمات أنّ زمن تحقّق الحدث أهم مقوّمات الجملة الفعليّة على غرار الجملة الاسميّة فهي مجرّدة من الزّمن، لكن بدخول ظنّ وأخواتها عليها –الجملة الاسمية– تحوّلها تحويلا جذريّا فتصبح جملا فعليّة، وقد سمّاه سيبويه الأفعال التي تتعدّى إلى مفعولين، وليس لك أن تقتصر على أحد المفعولين دون الآخر؛ وذلك كقولك: حسبَ عبدُ الله زيدًا بكرًا وظنّ عبد الله زيدا أخاك، ومثل ذلك: رأى عبد الله زيدا صاحبنا...[15] فالإسناد –هنا– قائم بين المفعول به الأوّل والمفعول به الثّاني، غير أنّ المتكلّم يريد أن يُوقع على هذا الإسناد حالته من الشّك واليقين، فهو إسناد إضافة، ويصبح الإسناد في جملة ظن وأخواتها إسنادا مركّبا[16] والبنية العميقة لها أصلها مبتدأ وخبر وبدخول ظنّ "عنصر التّحويل) تنصب هذين الرّكنين مفعولين لها.

5–3– التحويل المحلّي: وهو "التّقديم على نيّة التّأخير"[17] وذلك بمراعاة التّغيّرات الدّلالية الحاصلة في كلّ مرّة، فحسب قول الجرجاني السّالف الذّكر "اعلم أنّ تقديم..." فالجملة الفعليّة الواردة في قوله تعالى:

﴿**وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى**﴾ [النّجم 53] فهي جملة فعليّة محوّلة تحويلا محليّا بنيتها العميقة "أهوى المؤتفكة" طرأ عليها عنصر من عناصر التّحويل (قاعدة من قواعد التّحويل) وهو التّرتيب بتقديم المفعول به "المؤتفكة" عن الفعل والفاعل "أهوى" على نيّة التّأخير.

6- **عناصر أو قواعد التّحويل:** للتّحويل أربع قواعد وهي:

6-1- التّحويل بالاستبدال: الاستبدال هو: إمكانية إقامة وحدة لغويّة أو إسناديّة مقام وحدة لغويّة أو إسناديّة أخرى "والاستبدال باب من أبواب التّكافؤ من حيث جمعه لكلّ العناصر التي يمكن أن يُستبدَل بعضها ببعض في سياق معيّن، والعلائق الاستدلاليّة هي علائق قياسيّة فما يقع في خانة واحدة يأخذ حكما واحدا وإن تعدّدت صوره"[18] والتّكافؤ من ميزات اللّغة العربيّة، يقول ابن فارس: "من العلوم الجليلة التي خصّت بها العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللّفظ، وبه يُعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما مُيّز فاعل من مفعول، ولا مُضاف من منعوت..."[19] ففي هذا القول إيماء إلى تكافؤ البنية السّطحيّة والبنية العميقة في اللّفظ وافتراقهما في المعنى، والتّحويل بالاستبدال يشمل كلّ الوحدات الإسناديّة الوظيفيّة (المؤديّة وظائف المبتدأ والخبر والفاعل والمفعول والنّعت...) حيث تُستَبدل كلّها بمفرد يرتد إلى مصدر أو مشتق.

6-2- التّحويل بالزّيادة: ترتبط الكلمة في الجملة أو الوحدة الإسناديّة بالتّركيب الاسنادي الأصلي (النّواة أو البؤرة) وهي الفعل مع فاعله، والمبتدأ مع خبره، ممّا يُكوّن النّظم في التّراكيب الاسناديّة، يقول الجرجاني: "لا نظمّ في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك"[20] والنّظم هو ضم الشّيء إلى الشّيء كيف جاء واتّفق "ولا يتحقّق هذا من غير أن تعمد اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر أو تُتبع الاسم اسما آخر على أن يكون الثاني صفة و حالا أو تمييزا، أو أن تتوخّى في كلام هو لإثبات معنى يصير نفيا أو استفهاما أو تمنّيا فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك"[21] فالزّيادة عنصر من عناصر التّحويل أو قاعدة من قواعده، حيث يضاف فيها إلى الجملة أو الوحدة الإسناديّة التّوليديّة كلمات (وحدات) فكلّ زيادة في اللّفظ تتبعها زيادة في المعنى، فالزّيادة التي تدخل على الجملة التّوليديّة -فعليّة كانت أم اسميّة- تُحوّل معناها إلى معنى آخر جديد، فكلّما زدت شيئا وجدت المعنى قد صار غير الذي كان عليه، فالتّحويل هو حمل الشيء على الشيء وإجراؤه عليه بهدف اكتشاف الجامع الذي يجمع المحمول والمحمول له، والذي ينطلق فيه من البنية التّوليديّة للجملة أو الوحدة الإسنادية المكوّنة من عنصرين فتُحمل عليها أخرى تكون فيها زوائد لإظهار كيفية تحوّل هذه النّواة بتلك الزّوائد، قد تكون الزّوائد:

- **قيودا:** مثل زيادة حرف جرّ أو استفهام، مثل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾ [فاطر: 3] فالجملة الاسميّة "هل من خالق" تعرّضت للتّحويل بزيادة حرف الاستفهام التّصديقي "هل" لأنّ أدوات

الاستفهام في العربية تعتبر أدوات تحويل لها وظيفة دلاليّة بحتة[22] أو الاستفهام بالهمزة؛ مثل قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**﴾ [مريم46] فالبنية العميقة لهذه الآية هي: "أنت راغب عن آلهتي" (مسند+ مسند إليه) أو بحرف الاستفهام مؤكّدا بحرف الجر "ب" مثل قوله تعالى: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**﴾[الأعراف172] فالبنية الاسنادية الاستفهامية محوّلة بزيادة تتمثّل في: "همزة الاستفهام" تفيد الانكار، والفعل الماضي النّاسخ (ليس) المفيد للنّفي، وحرف الجر "ب" يفيد التّوكيد، فالبنية التّوليديّة (العميقة) لهذه البنية الاسناديّة هي: "أنا ربّكم" جاءت لتفيد الاختصاص أو ادخال حرف جرّ زائد بغرض توكيد النّفي، مثل قوله تعالى: ﴿**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة 74] حيث يعرب بغافل خبر مجرور لفظا مرفوع محلاّ، فالبنية العميقة لهذه الآية هي: الله غافلٌ؛ مبتدأ وخبر فحُوّلت بقواعد التّحويل بالزّيادة، بزيادة أداة النّفي "ما" وأكّد النّفي بحرف الجر "ب" أو بزيادة مؤكّدين؛ مثل قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [البقرة 130] فالبنية العميقة لهذه الآية (اصطفيناه في الدنيا) محوّلة بزيادة المؤكّدين "اللاّم" و "قد" أو بزيادة ثلاثة مؤكّدات؛ مثل قوله تعالى: ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ**﴾ [يوسف 73] فالوحدة الاسناديّة القسميّة (تالله لقد علمتم) المؤلّفة من الوحدة الاسنادية الفعلية المضارعية للقسم (تالله) المتكوّنة من حرف القسم (ت) المفيد للتوكيد، ولفظ الجلالة "الله " اسم مجرور بنيتها العميقة (نقسم بالله) والوحدة الاسنادية الفعلية الماضوية المؤكّدة التي لجواب القسم "لقد علمتم " المؤلّفة من "اللام" التّوكيد المتّصلة بحرف توكيد "بد" المفيد –كذلك –للتّوكيد والفعل الماضي (علمتم) والفاعل ضمير مستتر تقديره أنتم، كما تكون الزّيادة ب "ال" التّعريف وضمير الفصل؛ مثل قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [العنكبوت 52] فالوحدة الاسنادية (أولئك هم الخاسرون) تتكوّن من مبتدأ (أولئك) وضمير الفصل (هم) غرضه التّوكيد، وخبر أولئك (الخاسرون) المحوّل بالتّعريف، وتفيد قصر الخصران على المبتدأ (أولئك) أي استحقاق المبتدأ للخبر.

– **عوامل مثل النّواسخ:** من القضايا النّحوية التي ترتبط بالجملة الاسمية قضايا النّواسخ التي تدخل على التّركيب الاسنادي فتغيّر أحد ركنيه أو تغيّرهما معا، والتّغير يمسّ المعنى وشكل التّركيب لتحقيق إضافة في المعنى، وسُمِيَت عوامل لفظية نواسخ كونها تُزيل حكم المبتدأ والخبر وتُغيّر إعرابهم، يقول سيبويه: "ألا ترى أنّ ما كان مبتدأ قد تدخل عليه هذه الأشياء حتى يكون غير مبتدأ، فيظل الاسناد هو الرّابط بين المبتدأ والخبر حتى بعد دخول النّواسخ على الجملة الاسمية، رغم دلالة الخبر، إذ يكون مبنيّا على المبتدأ نحو "زيد أخوك" (مبتدأ وخبر) أو مبنيّا على كان واسمها نحو "ظل زيد أخاك" (اسم كان وخبرها) أو مبني على المفعول الأول نحو "حسبت عبد الله زيدا أخاك"[23] فيتّخذ –الخبر– صورا خارجيّة (بنى سطحيّة) مختلفة (خبر المبتدأ، خبر كان، مفعول حسب الثاني) ومن العناصر التي تدخل على الجملة الاسميّة النّواسخ (كان وأخواتها، ظن وأخواتها...) وأفعال الشّروع والمقاربة والرّجاء ، إذ تُحوّلها إلى جمل تحويليّة فعليّة فتقيّدها بزمن معيّن، ومن عناصر الزّيادة –أيضا– أدوات النّفي "ما" وأخواتها النّافيات

المشبهات بليس ، والتّوكيد التي تؤكّد المسند أو المسند إليه؛ مثل قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا** [البقرة26] ففيها عنصران للزّيادة هما: النّاسخ "إنّ" الذي جعل الجملة الإسميّة "الله لا يستحي" حاملة معنى التّوكيد، والعنصر الثّاني هو "لا" أداة نفي التي نفت الحكم فالبنية العميقة بالبنية الإسناديّة هي: اللّه يستحي، فالله مبتدأ، والجملة الفعليّة يستحي خبره.

6-3- التّحويل بالحذف: اللّغة العربية لغة إيجاز واختصار، وهذه السّمة يحقّقها الحذف الذي مال إليه حذّاق العربيّة وسمّوه شجاعة العربيّة، فهي سمة تنفرد بها من بين اللّغات، ومن بينهم – حذّاق العربية– الجرجاني الذي قال عن الحذف: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنّك ترى به ترك الذّكر، أفصح من الذكر، والصّمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بيانا إذا لم تُبن"[24] فالعرب يعدّون الإيجاز من الفصاحة والبلاغة والحذف باعتباره عنصرا تحويليّا قد يمسّ المسند –الخبر– بشرط وجود قرينة دالّة عليه، كون الحذف خلاف الأصل، فيخلّ الحذف بالمقصود، ففي قوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [لقمان 25] فالوحدة الاسناديّة "الله" (خبر) محوّلة من الفعل الماضي والمفعول به (خلقهنّ) المحذوفين بنيتها العميقة "خلقهنّ الله" والقرينة على المسند (الخبر) المحذوف هي وروده في السّؤال المذكور، كما قد يمسّ –الحذف– المسند إليه (المبتدأ) لعلم السّامع به، خصّص له سيبويه باب في "الكتاب": "هذا باب يكون المبتدأ فيه مضمرا ويكون المبني عليه مظهرًا"[25] ويقصد بالمبني عليه الخبر، فحذف المبتدأ في الوحدة الاسناديّة الإسميّة جائز، ويُقدّر انطلاق من فكرة الاسناد بأصل الوضع اللّغوي، فالتّركيب الاسنادي يشمل –في أبسط صوره– المسند والمسند إليه لفظا أو تقديرا (ظاهرا أو مضمرا) إذ يفيد العنصر الواحد بمفرده، مثل: عبد الله، تقديره هذا عبد الله، فهذه الوحدة الإسنادية موجودة ذهنيّا لكن حُذف المبتدأ لعلم السّامع به، كما حُذِف الفعل في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [الحجرات5] فالوحدة الاسناديّة "أنّهم صبروا" المُؤلّفة من "أنّ" واسمها الضّمير "هم" وخبرها الوارد جملة فعليّة ماضوّية "صبروا" فعل وفاعل (واو الجماعة) جاءت لتؤدّي وظيفة الفعل "ثبت" ذهب جمهور النّحاة إلى أنّ الوحدة الاسناديّة بعد "لو" في موضع رفع على الفاعلية بفعل مضمر تقديره ثبت[26] فالبنية العميقة للآية الكريمة هي: (لو ثبت أنّهم صبروا) والبنية العميقة للجملة المتكوّنة من أنّ ومعموليها (اسمها وخبرها) (أنّهم صبروا) هي: صبرهم فالبنية العميقة للآية: "لو ثبت صبرهم حتى تخرج". كما حُذف المفعول به في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾ [الأنعام 151] فالوحدة الاسناديّة (حرّم الله) محوّلة بحذف المفعول به (الضّمير العائد) (ها) بنيتها العميقة (التي حرّمها الله) الواقعة في محل نصب صفة للموصوف (النّفس) الواقعة مفعولا به، بنيتها العميقة (المحرّمها الله).

6-4- **التّحويل بالتّرتيب:** يعدّ التّرتيب من أهمّ العناصر في ابراز المعنى في جزء من أجزاء الجملة، وقد نصّ سيبويه وغيره من النّحاة على أنّ العرب إذا أرادت العناية بشيء قدّمته، فمن مزايا اللّغة

العربيّة حريّة التّنظيم، إذ يتغيّر موقع الكلمة مع محافظتها على معناها النّحوي، ويكون ترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النّفوس، ويقول الجرجاني: "والتّرتيب فنّ من الفنون التي يأخذ بها الفصحاء وأصحاب اللّسان في الأساليب وأولئك الذين يُجِيدُون التّصرّف في القول ووضعه الموضع الذي يقتضيه المعنى"[27] فيُقدّم الأهمّ على المهمّ، فالجملة تُبنى في انتظام معيّن بتقديم، وتأخير، في ضوء قواعد وقوانين التّحويل يحافظ النّظام اللّغوي العربي على رُتب أجزاء الكلام (وفق الصور الاسناديّة للجملة) ويمكن أن تتغيّر مكوّنات الجملة أو الوحدة الاسناديّة تقديما أو تأخيرا حين يسمح النّظام اللّغوي بذلك وحسب السّياق الكلامي[28] تقوم دراسة التّقديم والتّأخير على دراسة الرُّتبة في الجملة معتمدة على قرائن متنوّعة أهمّها علامات الإعراب، يقول سيبويه: "إنّما يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم، وهم ببيانه أَعنى، وإن كانا جميعا يُهمّانهم ويعنيانهم"[29] فيقدّمون الأهمّ على المهم مراعاةً لأحوال المخاطَب والسّياق الكلامي، ففهم الأحوال المتغيّرة للخطاب هي الأساس في الإسناد المُحوَّل، كون التّقديم والتّأخير يتعلّقان بالمعنى في ذهن المتكلّم "لأنّك تقتفي في نَظمها آثار المعتني وترتّبها على حسب ترتُّب المعاني في النّفس"[30] فيغيّر التّرتيب باعتباره عنصرا توليديّا في ترتيب عناصر الجملة أو الوحدة الإسناديّة بالتّقديم والتّأخير، مثل تقديم الفاعل على الفعل، أو المفعول على الفعل والفاعل في الجملة الفعليّة، وتقديم الخبر على المبتدأ في الجملة الاسميّة، أو تقديم الفضلات على أحد الرّكنين الأساسيين أو عليهما معا، فالتّرتيب عنصر تحويلي يرتبط بالبنية العميقة المتعلّقة بالمعنى المستودع في ذهن المتكلّم، عن طريق تقديم ما حقّة التّأخير، وقد يكون التّحويل بالتّرتيب تحويلا جذريّا مثل قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ**﴾ [فصلت 17] بنيتها العميقة هدينا ثمود، فعل وفاعل ومفعول به وقع فيها التّقديم لا على نيّة التّأخير، فتحوّلت من جملة فعليّة إلى جملة اسميّة، فالمبتدأ ثمود قُدّم للفت الانتباه لا لغرض التّركيز عليه، فالجملة الفعليّة "فهديناهم" المُؤلَّفة من فاء رابطة وفعل ماضي وفاعل (نحن) ومفعول به (هم) بني عليها المبتدأ (ثمود) فهي في موضع خبر له "وانّما حسن أن يُبنى الفعل على الاسم حيث كان معمولا في المضمر وشغلته به، ولو لا ذلك لم يُحسن لأنّك لم تشغله بشيء"[31] ففعل مشغول بنصب المفعول به الضمير (هم) ولم ينصب المبتدأ (ثمود) وقد عمل العائد (هم) على المحافظة على سلامة البناء، حيث ربط المبتدأ بالخبر، والضّمير الغائب (هم) في قوّة الاسم الظّاهر في حقل المطابقة[32] كذلك في قوله تعالى: ﴿**أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا**﴾ [النازعات27] جاءت الوحدة الاسنادية الفعليّة (بَنَيْنَاها)] فخبر المبتدأ (السّماء) مُؤلَّفة من فعل وفاعل ومفعول به، ففي رفع المبتدأ (السماء) ما جعل عطف الجملة الاسميّة المركّبة –مركّبة لأنّ خبرها ورد جملة فعليّة– بناها صالحا على الجملة الاسميّة البسيطة أأنتم أشدّ خلقا، وقد يكون التّحويل بالتّرتيب محلّيا، وذلك بتقديم عنصر؛ مثل قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ**﴾ [التوبة 6] تتألّف الجملة الشّرطيّة الاستئنافيّة "وإن أحد من المشركين استأجرك فأجره" من حرف شرط (إن) والفاعل المحوّل بالتّرتيب (تقديم أحد) وشبه جملة جار ومجرور (من المشركين) المؤدية وظيفة نعت، والجملة

الفعليّة (استجارك) فعل وفاعل ومفعول به(ضمير متصل ك)، والجملة الواقعة جواب الشّرط (فأجره) المفيدة طلب، فالبنية العميقة لهذه الآية (وإن استأجرك أحد من المشركين فاجره) ولا يرتفع (أحد) بالابتداء لأنّ حرف الشّرط (إن) من عوامل الفعل لا تدخل على غيره، يعزّز هذا القول سيبويه إذ قال: "واعلم أنّ حروف الجزاء يَقبح أن تتقدّم الأسماء قبل الأفعال (...) لأنّ حروف الجزاء يدخلها فعل ويفعل"[33] فقدّم الفاعل (أحد) عن الفعل (استأجر)، وقد يكون التّحويل بالتّرتيب بتقديم المفعول به على نيّة التّأخير؛ مثل قوله تعالى: ﴿**وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ**﴾ [الحديد 60] الجملة الفعليّة (أعجب الكفار نباته) تتكوّن من فعل ماضي (أعجب) ومفعول به مقدّم على نية التّأخير(الكفار) والفاعل المؤخّر نباته المتّصل بالضّمير (ه) مضاف إليه في محل جرّ نعت للمنعوت (غيث) الواقع (مضافا إليه) وبنيتها العميقة (معجب بنباته الكفّار).

قبل محاولة إثبات مدى قبول هذ النّظريّة لتحليل البنى النّدائية في النّداء اللّغوي العربي ممثّلا في الحديث النّبوي الشّريف، لا بدّ من الوقوف عند أهم المفاهيم التي أسّست لهذه النّظريّة حتّى جعلت منها نظريّة معياريّة.

7- **المفاهيم الأساسية للمدرسة التّوليديّة التّحويلية:** جاءت المدرسة التوليديّة التحويليّة كرد فعل على البنويّة بعد أن نعتتها بالعجز والقصور، حيث حصرت البنويّة نفسها في المستوى الشّكلي السّطحي ولم تتجرّأ على الغوص في أعماق اللّغة واكتشاف البني الباطنيّة لها، وفي ما وراء الظّواهر اللّغوّية فقدّمت التوليديّة نفسها كبديلة، لسدّ الفراغ المنهجي الرّهيب، فتأسّست -ككلّ منهج- على مجموعة من المبادئ وهي:

7-1- الكفاءة اللّغويّة والأداء الكلامي: : ميّز (تشومسكي) في نظريّته -ولأوّل مرّة في علم اللغة- بين مصطلحي الكفاية والأداء ويعتبر هذان المصطلحان حجر الزاوية في نظريّته.

أ- **الكفاءة اللّغويّة:** إنّ النّظريّة اللّغويّة نظريّة عقلانيّة في المعنى التّقني لهذه الكلمة إذ أنّها تتمسّك باكتشاف حقيقة عقلية (الكفاية اللّغويّة Compétence) تكمن ضمن السّلوك العقلي (الأداء الكلامي Performance) فالكفاية اللّغوية ظاهرة معرفية حارب بها (تشومسكي) السّلوكية البلمفيدية، وهي "... قدرة المتكلّم -السامع المثالي- على أن يجمع بين الأصوات اللّغويّة وبين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد لغته"[34] وهي تعني النّظام النّحوي الموجود تقديريّا داخل كلّ دماغ، أي تلك القدرة التي تتكوّن لدى الفرد المتكلّم ويكتسبها من أفراد مجتمع معيّن، وتمكّنه من التّعبير عن نفسه والاتيان بعدد لا متناه من الجمل الجديدة في المناسبات المختلفة، وهذه الكفاية ينطبع عليها الإنسان منذ نعومة أظافره، وخلال مرحلة اكتسابه للّغة، وتكون مرتبطة ارتباطا وثيقا بقواعد اللّغة، فمن الواضح أنّ للجمل معنى خاصا تحدّده القواعد اللّغويّة، وأنّ كلّ من يمتلك لغة معيّنة اكتسب في ذاته وبصورة ما قواعد تحدّد الشّكل الصّوتي للجملة ومحتواها الدّلالي الخاص، فهذا الإنسان قد طوّر في ذاته ما يسمّى ب "الكفاية اللّغويّة

الخاصة" فالكفاية اللّغوية خاصة بالمتكلّم السّامع المثالي وتمثّل البنية العميقة للكلام فالكفاية اللّغويّة تكون في امتلاك المتكلّم والسّامع القدرة على إنتاج عدد هائل من الجمل من عدد محدود جدّا من الفونيمات الصّوتية والقدرة على الحكم بصحّة الجملة التي يسمعها من وجهة نظر نحويّة وتركيبيّة، ثم القدرة على الرّبط بين الأصوات المنتَجَة وتجمعها في مورفيمات تنتظم في جمل، والقدرة على ربطها بمعنى لغوي محدّد، ذلك كلّه يتمّ بعمليّات ذهنيّة داخليّة يتمّ التنسيق بينها بما يسمّى "قواعد إنتاج اللّغة"[35] ويمكن القول أنّ كلّ تصرّف لغوي أو كلّ أداء كلامي يُخفي وراءه معرفة ضمنيّة تتعلّق بكفاية لغويّة يولد بها الفرد وتمكّنه من تعلّم أيّة لغة من اللّغات، وإتقان نظامها، ومضمون القدرة الفطرية هو ما أطلق عليه تشومسكي بالكلّيات اللّغويّة Universelle Linguistique وهي العناصر المشتركة بين جميع اللّغات، ولكن هذه الملكة ليست طبيعية أو فطرية يقول ابن خلدون: "يظن كثير من المغفلين... ممّن لم يعرف شأن الملكات، أنّ الصّواب للعرب في لغتهم إعرابا وبلاغة أمر طبيعي ويقول: وكانت العرب تنطق بالطّبع، وليس كذلك، إنّما هي ملكة لسانية في نظم الكلم، تمكّنت ورسخت فظهر في بادئ الأمر أنّها جبلّة وطبع"[36] فالملكة اللّسانية في نظر ابن خلدون هي: قدرة اللّسان على التّحكّم في اللّغة والتّصرّف فيها، ويرى تشومسكي أنّ اللّغة ميزة من ميزات الجنس البشري وأنّ تعلّمها لا يرتبط بذكاء الانسان' وقد تاثّر تشومسكي بقول (ديكارت 1596م-1950) "إنّ اللغة مقصورة على الجنس البشري وحتى الأشخاص الذين هم على مستويات واطئة من الذّكاء، مستويات مرضية نجد لديهم تمكّنًا من اللّغة لا يستطيع أي قرد من القرود العليا إحرازه، وإن تفوّق هذا القرد على إنسان معتوه في القدرة على حلّ المشاكل وأي سلوك تكييفي آخر"[37] وممّا زاد تشومسكي تمسّكا بهذه الفكرة وتوكيدا لها في نظريّته، ما يراه في تدرّج الطّفل الصّغير في الكلام وفي انتقاله في تعلّم الكلام في تعلّم اللّغة وجعلها حجّة يستند عليها لدحض آراء السّلوكيين، فيقول تشومسكي: "واضح أنّ الطّفل الذي اكتسب لغة ما قد طوّر في ذاته تصوّرا داخليّا لتنظيم من القواعد ينصّ على كيفية تركيب الجمل واستعمالها وتفهمها... فيمكن القول أنّ الطّفل قد نمى في ذاته قواعد توليدية[38] فتعلّم الطّفل للغة لا يشترط أن يكون الذّكاء عاملا من عوامله فالجميع يتعلّم التكلّم بلغته الأم، ولا يعني أنّ هذا الطّفل صفحة بيضاء، إنّما هو يمتلك كلّيات لغويّة ومن ثمّ صحّ القول عنها: إنّها عبارة عن مجموعة من القواعد المكتسبة، والمشتركة بين متكلّمي لغة معيّنة، تُمكّن صاحبها من فهم، وانتاج عدد غير محدود من الجمل، وهي تتميّز بطابع اللّاشعور، فهي المعرفة اللّاواعية والضّمنيّة بقواعد اللّغة، ففكرة (الفطرة اللغويّة) في نظرية تشومسكي تمثّل حجرا أساسا يعتمد عليه المبنى كلّه ، وقد قادته هذه الفرضية إلى فرضيّة أخرى ذات علاقة وطيدة بالفرضية السابقة وهي:

القواعد الكليّة: "وهي مجموعة المبادئ المنظمة التي ينبغي أن يلحظها البحث اللّساني من حيث هي مشتركة بين اللغات وتلتزم بها اللّغات[39]" ثم يفسّر تشومسكي معنى كلمة (القواعد الكلية) فيقول: "تعني بكلمة (القواعد الكليّة) تنظيم الشروط التي تقوم عليها القواعد (قواعد اللغات) ...تحتوي الكليّة على الشّروط التي يجب أن تتوفّر في كلّ لغة إنسانية وعلى المبادئ التي تفصل كيفية تفسيرها، فالقواعد الكليّة

هي "التي تقوم بضبط الجمل المنتَجة وتنظيمها بقواعد وقوانين لغوية عامة، تخضع لها الجمل التي ينتجها المتكلّم ويختار ما يتّصل بلغته من قوالب وقواعد من بين الأُطر الكلية العامة في ذهنه، والتي هي كليّة شمولية عالمية (Universelle) متساوية بين بني البشر تكون في الإنسان منذ ولادته يسمّيها (صيغة اكتساب اللغة Devise Linguistique Acquisition)[40] (Disposition d'Acquisition Linguistique) تحتوي القواعد الكليّة على "كلّ المعلومات والقضايا التوليدية والتحويلية يأتي بها الطّفل إلى مسار عملية اكتسابه اللغة، وبما أنّ اكتساب اللغة يقاضي تعلم قواعدها، بصورة ضمنية فإنّه ينبغي أن تقوم القواعد الكليّة بتحديد الشّكل الذي تتخذه قواعد اللغة وأنواع القوانين التي تندرج فيها والنّمط الذي تصاغ عليه هذه القواعد والعلاقات التي تتشابك فيها"[41] فهي صورة معبِّرة عن جوهر اللّغة البشريّة وتحتوي على المبادئ الدّائمة والثّابتة والقائمة ضمن الفكر الانساني والتي لا تتغيّر نسبة لتنوّع البشر، فهي قواعد نظرية ذهنية كلية عالميّة، هذه القواعد الكلية موجودة في بنية الكلام العميقة وهي الأساس الذي تتفرّع منه اللّغات الخاصة، وهي تحتوي على شروط صياغة قواعد اللّغات وعلى المبادئ التي تحدّد تفسير قوانين هذه القواعد، فالقواعد الكلّية –إذا– هي التي تقوم بضبط الجمل بعد توليدها لتجعلها جملا نحويّة أو غير نحويّة، يدركها المتعلّم والسّامع المثالي في لغة معيّنة.

ب– **الأداء:** تميّز النّظريّة التوليدية بين المعرفة باللّغة، وبين استعمالها، من خلال التّفريق بين مصطلحي الكفاية والأداء، فالكفاية هي المعرفة الضّمنية لدى المتكلّم بقواعد لغته، والأداء هو الانجاز الفعلي لهذه الملكة، أو "هو الممارسة الفعليّة والآنية لهذه المَلَكَة، وإخراج لنظامها اللّغوي الضّمني من حيّزه اللّاشعوري إلى الحيّز الإدراكي الفعّال، يتكاملان في ظروف مادية متنوّعة[42]، أو هو استعمال اللّغة هذه المعرفة في عملية التكلّم، فالكفاءة اللّغويّة هي التي تقود عمليّة "الأداء الكلامي"[43] فالملكة والأداء وجهان من أجل إنجاز الفعل اللّساني، فالكفاءة هي المحرّك الفعلي لفعل الكلام، أو هي نظام عقلي تحتي يتواجد خلف السّلوك الفعلي، والسّلوك الفعلي هو الأداء، أي الاستعمال الفعلي للّغة.

ميّز تشومسكي بين مفهومي (أصول الجملة) و(تقبل الجملة) فالجملة الأصولية هي الجملة المركّبة على نحو جيّد، والجملة غير الأصولية هي الجملة التي انحرفت عن المبادئ التي تحدّد الأصوليّة في اللّغة سواء أكان هذا الانحراف صوتيّا أم دلاليّا أم تركيبيّا، وتشير الألسنيّة إلى أنّ هناك درجات متباينة في الجمل غير الأصولية، أي أنّ هذه الجمل تتباين نسبة انحرافها عن قواعد اللّغة، فترتبط درجة غير أصوليّة الجملة بالمقدار الذي انحرفت به عن قواعد اللّغة فمفهوم الأصوليّة ينتمي إلى مجال دراسة الكفاية اللّغويّة، فالجملة غير الأصولية تحدَّدُ وفقا لقواعد الكفاية اللّغويّة، وأمّا مفهوم قبول الجملة فينتمي إلى مفهوم الأداء الكلامي، فمفهوم قبول الجملة عائد إلى مجال دراسة الأداء الكلامي في حين أنّ مفهوم أصولية الجملة يرتد إلى مجال دراسة الكفاية اللّغويّة، فالأصولية هي عامل من بين عوامل متعدّدة تترابط لتحديد قبول الجملة.

7-2- البنية السّطحية والبنية العميقة: تعتبر اللّغة عملا عقليّا عند تشومسكي وتلاميذه؛ إذ يرى أنّ "الجملة بؤرة التّحليل اللّغوي من حيث علاقتها بالمعنى، وحقيقتها وجهان سطحي خارجي ظاهر وتحتي باطني عميق"[44] فيتمّ تحليل الجملة اللّغويّة من خلال مستويين: أحدهما يعبّر عن الفكرة أو المعنى وتتشابه فيه جميع اللّغات الإنسانية الطّبيعية، وتسمّى **بالبنية السّطحيّة (Structure de Surface)** وهي "البنية الظاهرة عبر تتابع الكلام الذي يتلفظ به المتكلّم" وتتمثّل في التّركيب التّسلسلي السّطحي للوحدات الكلاميّة المادية المنطوقة أو المكتوبة[45] أي التّفسير الصّوتي للجملة، أي تُمثّل الجملة كما هي مستعملة في عمليّة التّواصل[46] هي علاقة ترتيب المعنى في الذّهن، إلى جانب البنية الظّاهرة بنية مقدّرة تضبط خواصها الدّلاليّة، وهو الشّكل الفيزيائي للجملة ويتمثّل في الكلمات التي ينطقها المتكلّم ويعرف(**بالبنية العميقة** Structure Profonde) وهي البنية المجرّدة والضمنية والتي تعين التفسير الدّلاليّ "نميّز بين بنية الجملة العميقة وبين بنية الجملة السّطحيّة: الأولى هي البنية المجرّدة والضّمنية والتي تُعيّن التّفسير الدّلالي، والثّانية هي ترتيب الوحدات السّطحي الذي يُحدّد التّفسير الفونتيكي والذي يُردّ إلى شكل الكلام الفعلي الفيزيائي وإلى شكله المقصود والمُدررَك"[47] فالبنية العميقة عند تشومسكي هي أنماط من العلاقات كامنة في العقل عند بناء الجماعة اللّغويّة، وتصدر عنها الجمل والعبارات التي تسمعها وتفهمها، فالبنية العميقة هي البنية المُولّدة بواسطة قواعد إعادة الكتابة والقواعد المعجميّة، كما أنّها البنية التي يرتبط بها التّفسير الدّلالي للجملة وهي كذلك البنية التي تُحَوَّل بواسطة قواعد التّحويل إلى بنية سطحيّة، فالبنية العميقة هي التركيب الباطني المجرّد الموجود في ذهن المتكلّم وجودا فطريّا، وهي أوّل مرحلة من عمليّة الإنتاج الدّلالي للجملة، وهي القواعد التي أوجدت هذا التّتابع، أو البنى الأساسيّة التي يُمكن تحويلها لتكوّن جمل اللّغة، فالبنية العميقة لها وجود تقديري يقدِّره اللّغويّ من خلال تصوّر معيّن للنّظام اللّغوي وإن لم تكن ظاهرة في الكلام، إلاّ أنّها أساسيّة-إلى حدّ كبير- لفهمه ولإعطائه التّفسير الدّلالي، فهذه البنية ضمنيّة تتمثّل في ذهن المتكلّم -المستمع- فهي حقيقة عقلية قائمة يعكسها التّتابع الكلامي المنطوق الذي يُكوّن البنية السّطحيّة، فترتبط البنية العميقة بالدّلالات اللّغويّة أي أنّها تُحدّد تفسير الجمل الدّلالي أمّا البنية السّطحية فهي نتاج العمليّة التّوليدية التي يقوم بها المكوّن التّركيبي، وهي عبارة عن الصّوت المنطوق فعلا، ويرتبط بها التّفسير الصّوتي للجملة (الأصوات اللّغويّ المتتابعة) وتحدّد تفسير الجمل من النّاحية الصّوتية، إنّ مسألة البنية العميقة والسّطحيّة تشبه -إلى حدّ كبير- ما عُرف عند النّحويّين العرب التركيبيين المضمر والظّاهر[48]، فهناك تشابها واضحا بين نظرية تشومسكي والنحو العربي، والبنية العميقة ترتبط بالبنية السّطحيّة من خلال بعض العمليّات العقليّة التي تُسمّى بالمصطلح اللّساني الحديث (قواعد التّحويل)، وللتّمييز بين البنية العميقة والبنية السّطحيّة أهميّة قصوى في التّحليل الألسني.

الخاتمة: نستنتج من الدّراسة سبق وريادة العرب في المجال اللّساني عامة، والتّوليدي خاصّة، فنلاحظ وجود خيوط من التّراث العربي في النّظريّة التّوليديّة لرائدا (نعوم تشومسكي) ممّا أدّى إلى ظهور خلاف

واسع بين اللّغويّين من عرب وغرب، حول تأثّر تشومسكي بالنّحو العربي، فنجد بعضهم يورد ما يرونه من أدلّة على هذا التّشابه، وأنّ تشومسكي انطلق فعلا في تنظيره اللّساني من المبادئ التي وضعها النّحويّون العرب القدماء، ومن الأدلّة على تأثّره بالنّحو العربي "ما صرّح به تشومسكي نفسه بأنّه درس اللّغة العربيّة في المستوى الجامعي الأوّل، وأنّه قرأ كتاب سيبويه" ومن الباحثين العرب الذين بحثوا في التّلاقي بين النّحو العربي ونظريّة تشومسكي التّوليديّة، د. كمال أبو ديب في "نظريّة الجرجاني عن التّخييل الشّعري، وهي رسالة دكتوراه، ود. نهاد الموسى في كتابه "نظرية النّحو العربي في ضوء مناهج النّظر النّحوي الحديث، ود صالح بلعيد في " التراكيب النّحوية وسياقاتها المختلفة عند الجرجاني". حيث أكّد على وجود نقاط التّشابه بين النّحو العربي والنّحو التشومسكي ، إلاّ أنّ هناك باحثون عرب آخرون لهم وجهة نظر مغايرة، وهي أنّ تشومسكي لم يتأثّر بالنّحو العربي في نظريّته ولا صلة له بها، ومن هؤلاء د. عبد السّلام المسدّي في كتابه "التفسير اللّساني عند العرب" فهو يرى أنّ الغرب قد أهمل التّراث اللّغوي عند العرب فلم ينقل عنه شيئا. إضافة إلى د. تمام حسان وفي دراساته الكثيرة عن التّنظير النّحوي العربي، لم يُثبت فيها تشابها بين النّحو العربي والنّظريّة التوليدية. فليس من العيب أو المستغرب أن تأخذ ثقافة عن ثقافة أخرى، وهو لازمة من لوازم تلاقي الثّقافات.

الهوامش

[1] – محمد حماسة عبد اللّطيف، من الأنماط التحويلية في النحو العربي، دط، القاهرة: 1990. مكتبة الخانجي، ص11.

[2] – محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، دط، بيروت: دتا. مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح لبنان ص 88.

[3] – رابح بومعزة، التّحويل في النحو العربي مفهومه أنواعه صوره، ط1، دمشق: 2008. عالم دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، ص 9.

[4] – رابح بوعزة، التحويل في النحو العربي مفهومه أنواعه صوره، ص 31.

[5] – الشريف الجرجاني، التعريفات، القاهرة: 1991. ط1، دار الكتب المصرية، ص 131.

[6] – محمد الصغير بناني، المدارس اللّسانية في التراث العربي في الدراسات الحديثة، دط، الجزائر: 1985. ديوان المطبوعات الجامعية، ص 81.

[7] – محمد الصغير بناني، المدارس اللّسانيّة في التراث العربي في الدراسات الحديثة، ص 21.

[8] – رابح بومعزة، التّحويل في النّحو العربي، ص 46.

[9] – رابح بومعزة، التّحويل في النّحو العربي، ص 48.

[10] – محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، د ط، بيروت: 1999، دار الفلاح للنشر والتوزيع صويلح، ص 22.

[11] – رابح بومعزة، التّحويلي في النّحو العربي، ص 48.

[12] – رابح بومعزة، التّحويل في النحو العربي، ص 48.

[13] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان الداية وفازية الداية، دمشق: 1987. ط2، مكتبة سعد الدّين، ص 106.

[14] – عثمان لن قنبر أبو بشر سيبويه، الكتاب، تح وشر: محمد عبد السلام هارون، القاهرة: 1998. ط3، مكتبة الخانجي، ص 40

[15] –. سيبويه، الكتاب، ج1، ص 81.

[16] – رابح بومعزة، التّحويل في النّحو العربي، ص51.

[17] – الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 105–107.

[18] – نهاد الموسى، نظريّة النّحو العربي في ضوء مناهج التّطوّر اللّغوي الحديث، ط 1، عمان: 1979. دار البشير للنشر والطّبع. ص 48.

[19] – أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، الصّاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: حسن بسج، بيروت: ط1، ص 41.

[20] – رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي، ص 66.

[21] – خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة العربية وترتيبها، ط2، عمان: 1990. مؤسّسة علوم القرآن، 96.

[22] – رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي، ص 141.

[23]– رابح بومعزة، التّحويل في النحو العربي، ص 67.

[24] – الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 146.

[25] – سيبويه، الكتاب، ج2، ص 130.

[26] –عبد الله جمال الدبن بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: 1999. ط1، المكتبة العصرية صيدا، ج1، 356–357.

[27] – الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 83.

[28] – صالح بلعيد، التراكيب النّحوية وسياقاتها عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، د ط، الجزائر: 1994. ديوان المطبوعات الجامعيّة، ص 173.

[29] – سيبويه، الكتاب، ج1، ص 34.

[30] – دلائل الإعجاز، ص 55.

[31] – سيبويه، الكتاب، ج1، 81

[32] – تمام حسان، اللغة العربية، معناها ومبناها، ط2، القاهرة: 1989. مطابع الهيئة المصرية، ص 216.

[33] – سيبويه، الكتاب، ج3، ص 110.

[34] – ميشال زكريا، مباحث في الألسنية وتعليم اللّغة، ط 2، بيروت: 1985. المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع ص 60–61.

[35] – خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة العربية وتراكيبها، ص 57.

[36] – ميشال زكريا، الألسنية التحويلية التوليدية وقواعد اللغة العربية، ط1، بيروت: 1983. المؤسّسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتوزيع، ص 7

[37] – ن تشومسكي، اللغة والعقل، تر: بيداء علي العلكاوي، مراجعة سليمان الواسطي، دط، بغداد: 1996. دار الشّؤون الثقافية العامة، ص 20، ميشال زكريا، الألسنية التحويلية والتوليدية وقواعد اللغة العربية، ص 25–27.

[38] –Chomsky. N. Aspects of the theory of syntax, Cambridge. Mass MIT Press. p 25.

[39] – ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص 77.

[40] – خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص 56.

[41] – ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص 77.

[42] – شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللّسانيّة المعاصرة، ط1، بيروت: 2004. ص 44.

[43] – ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية، ص 33.

[44] – خليل عمايرة، البنية التحتية بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي، مجلّة الأقلام، بغداد: ع1، 1983.

[45] – شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللّسانية، ص 44.

[46] – أحمد مومن، اللّسانيات النّشأة والتّطوّر، دط، الجزائر: 2002. ديوان المطبوعات الجامعيّة، ص 212.

[47] – ميشال زكريا، الألسنية التوليدية، ص 163.

[48] – كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللّغة، ط2، القاهرة: 1985. مكتبة الأنجلو المصريّة، ص 67.